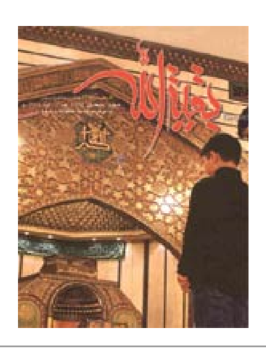


أدب و لغة: الشيخ أحمد الرائلى شاعر الهم الإنسانى

الأشمر، فيصل

نشريه بقية‌الله :: كانون أول ۲۰۰۵ - العدد ۱۷۱

صفحات : از ۶۲ تا ۶۴



الشيخ أحمد الوائلي شاعر الهم الإنساني

فيصل الأشمر

● حين يجري ذكر الشيخ الراحل أحمد الوائلي أمام إنسان فأول ما يتبادر إلى الذهن هو صورة ذلك الخطيب الكبير وصاحب المدرسة العريقة في العزاء الحسيني، في حين تغفل عن بال الكثيرين الناحية الشعرية لدى الشيخ وهو الشاعر الكبير الذي أبدع القصائد الجميلة في مناسبات وطنية واجتماعية مختلفة.

وليس هذا بمستغرب على من نشأ في بيئة النجف الأشرف ، تلك المدينة التي يقول عنها الدكتور علي جواد الطاهر: «النجف مدينة العلم الديني المنقطع النظير، ثم الأدب والشعر، وهي فيهما نادرة من النوادر واعجوبة من الأعاجيب، يُعنى أهلها بقول الشعر وسماعه والحديث عنه عنايتهم بالمسائل اليومية من أكل وشرب، إنهم أدباء كما يتنفّس المرء الهواء».

والشيخ الوائلي شاعر قدير، تنوعت قصائده بتنوع المناسبات التي قيلت فيها ما بين سياسية واجتماعية ودينية وغير ذلك وكلها تعبر عما يحمله من هم يقلقه في سبيل رفعة الإنسان والإنسانية على الصعد كافة. وهذا ما يظهر لنا في استعراضنا لنماذج قليلة من شعره مما قاله في مناسبات مختلفة.

يقول الوائلي في قصيدة له عنوانها «في رحاب الرسول ﷺ»:

أتيتك بالأشواق أطفو وأرسبُ
وكلّيَ آمالٌ وكلك مطلبُ

ملكتَ على بعد الديار مشاعري
فأنت إلى ذهني من الفكر أقربُ

إلى أن دنت مني الديار وأصبحتْ
قبابك في عيني تهلّ وتغرب

ويصف في قصيدة له طويلة الحادثة التي جرت للسيدة الزهراء عليها السلام وكسر ضلعها وشهادتها ويقول في بعض أبياتها:

الرزايا السوداء لم تبقِ منها
غير روح ألوى بها الإعياء
ومسجّىً من جسمها وَسَمته
بالندوب السياطُ كيف تشاء
وكسير من الضلوع تحامت
أن يراه ابنُ عمها فيُساء

ويخاطب الوائلي الإمام الحسين عليه السلام منددا بمن لا يعني له الحسين عليه السلام سوى البكاء والتفجع دون أن يكون عنده نموذجاً للموت في سبيل الكرامة فيقول:

وضعناك في الأعناق حرزاً وإنما
خُلقتَ لكي تُنضى حساماً فتُشرع
وصُغناك من دمعٍ وتلك نفوسنا
نصورها لا أنتَ إنك أرفع
فإن شئتَ أن نحيا فألهِمْ نفوسنا
لتنهلَ من كأسٍ شربتَ فتجرع

ومن قصيدة له عنوانها «عند باب الحوائج» يناجي الشاعر بابَ الحوائج إلى الله الإمام الكاظم عليه السلام فيقول:

لقدسك يا بابَ الحوائج باب
جثت حوله للطالبين رغابُ
إذا رُدَّ في بابٍ لغيرك مطلبٌ
ففي باب موسى لا يُردّ طِلاب

ويعبر شاعرنا عن حبه لليل ساتر الأحزان فيقول:

عشقتُ الدجى لا كافراً بضيائي
ولا لأعدَّ النجم من ندمائي
ولكن عشقت الليل يُؤنس وحشتي
ويستر أحزاني عن الرقباء

ويخاطب الشاعر السياسيين المتلاعبين بالعراق وأهله لغاياتهم الشخصية فيقول:

كفاكم دماءً يا سماسرة الحرب
دعوها لردّ الحقّ والوطن المسبي
وليست دمانا سلعة تشترونها
وما للدما أثمان عند ذوي اللب
لقد بعتمُ قدس الدماء وطهرها
ببخس من الأثمان يا أخوة الذئب
وألقيتم من أجل دنياً خسيسة
وحفنة نفط ألفَ يوسف في الجب

ولم تغب فلسطين المفجوعة عن بال الشاعر الوائلي فيصف نكبة أبنائها قائلاً:

فلسطينُ لا ذكرتنا الحياةُ
إذا ما نسينا رؤىً تألقُ
ونطقُ الأسى في عيونِ الصّغار
وإن لم يقولوا، ولم ينطقوا

وأسئلةٌ في شفاه الصبي
لأمٍّ بعبرتها تخنقُ
تلهّب أضلاعها إذ يقول
أُمّاه، أينَ أبي المشفقُ
وأين أخي؟ ووالداتي؟ وأينَ
ملاعبُ داري التي أعشقُ
لماذا أنامُ بهذي الخيام
وخدّي على الترب لا يرفقُ
وأمّي بجنّبي تنثّ الدماءُ
من صدرها، وأخي يشهقُ
وأأكل من كسر المحسنينَ
وأرضِيَ خيراتُها تغدقُ
لماذا يسموننا اللاجئين
أليسَ لنا وطَنٌ مسبقُ؟

ويحن الشاعر إلى العراق وهو في الغربة ويتذكر الأماكن التي نشأ وكبر فيها فيقول:

(وادي الغريّ) وحق رملك وهو ما
أشتاقه في غدوتي ومسائى
لو تستبين على البعاد مشاعري
ملهوبة كالجمر في الظلماء
أترى وطيفك يستبد بمقلتي
أنساك لا ورمالك السمراء
فأنا لهيب مشاعر وصبابة
تواقة لقبابك الشمّاء
وإلى محاريب العبادةِ والتقى
ولخشعةٍ من راهب بكّاء

ويخاطب الشاعر بغداد متعجباً مما تجمع من مفارقات بين غني وفقير وعزيز وذليل قائلاً:

بغداد يومك لا يزال كأمسه
صورٌ على طرفي نقيض تجمعُ
يطغى النعيم بجانب وبجانب
يطغى الشقا فمرفّهٌ ومضيَّعُ
في القصر أغنيةٌ على شفةِ الهوى
والكوخ دمعٌ في المحاجر يلذع
ومن الطوى جنب البيادر صرَّعٌ
وبجنب زق لأبي نؤاس صرّع
ويد تكبَّل وهي مما يُفتدى
ويدٌ تقبَّل وهي مما يُقطع
ويصان ذاك لأنه من معشر
ويضام ذاك لأنّه لا يركع

وأخيراً ندعو مع الشاعر الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله قائلين كما قال:

رب رحماك ذوَّبتنا الرزايا
واللظى قد يذوب منه الحديدُ
كُفَّ نعمى الحكام عنا فإنّا
نحو هذي النعماء فينا جحود
وأعنّا على الوصول لحكمٍ
من معانيك ظلُّه ممدود